العرب
السبت 2021/10/09
السنة 44 العدد 12204

بطرس المعرّي يُسمع صوت الدمشقي إلى العالم

الفنان السوري يجمع الكتابة بالرسم في مؤلف جديد

صدر حديثا مؤلف جديد للفنان السوري متعدّد المواهب بطرس المعرّي بعنوان "رؤيا الدمشقي.. قصص الخوف ورسوماته" عن دار النشر العريقة "أطلس" التي تملكها سمر حداد. وهو الكتاب الثاني له بعد "كيوبيد الدمشقي" الذي يجمع فيه بين الكتابة والرسم.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

من الصعب الحديث عن الفنان السوري بطرس المعرّي وإن كان ذلك حصرا من خلال إلقاء نظرة على مؤلفه الأدبي/ الفني، وذلك لكثرة ما هو "كثي" ومتنوّع على الرغم من كونه يدور دوما في فلك عشقه لمدينته العريقة، دمشق.

فهو من الناحية الأدبية أصدر مجموعة من القصص المخصّصة للأطفال لم تخرج عن حبه لمدينته وأجوائها وقام بتطعيمها برسوماته الطريفة والمُعبرة.

أما "كيوبيد الدمشقي" و"رؤيا الدمشقي" المخصّصان للكبار، فهما مؤلفان تعلو نسبة شاعريتهما حينا وتخفت لتصبح سردا ونثرا ينساب بسهولة الصدق وعفويته.

حكواتي الرسم

أراد المعرّي من تلك المؤلفات أن تكون بوابة تنقله هو أولا، والقارئ ثانيا إن هو أراد، إلى عالم دمشقي/ مشرقي غامر لا مثيل له بعيدا كل البعد عن الهشاشة الفولكلورية التي طغت في الصور الترويجية والمسلسلات التلفزيونية.

أما من ناحية التقنية الفنية فقد استخدم الفنان الرسم بالرصاص والألوان المائية وألوان الأكريليك والحبر، كما استخدم القصاصات الورقية المُدعّمة وغير المُدعّمة وأوراق الجرائد. وله رسومات ولوحات فنية وأعمال كاريكاتيرية ورسومات غرافيك ورسومات توضيحية.

كتابه الأخير الصادر حديثا، هو كالأول لناحية تداخل الكتابة مع الرسم، ولناحية الانسياب الذي يحيلنا إلى تدفّق المياه البلورية في نوافير الماء غير الصاخبة.

غير أن جديده، أي "رؤيا الدمشقي.. قصص الخوف ورسوماته" حلّق في فضاء آخر امتزجت فيه حالات وجدانية غزيرة وجدت مرتعا لها في روح الدمشقيّ الرحّال الذي كان في يوم من الأيام "كيوبيدا" وظل كذلك على أكثر من صعيد. امتزجت هذه الحالات الوجدانية ولم تتعاقب.

وحدث هذا المزج على صفحات كتابه أولا بشفافية وانسياب ريشة الفنان ونصاعة الخطوط التي استخدمها، وثانيا بانهمار كلماته كمطر ربيعيّ عُرف عنه أنه لا يتحضر قبل أن يهطل ولا ينذر مكان حلوله، بهطوله.

تتخمّر هذه الحالات الوجدانية صفحة تلوى الصفحة أمام القارئ/ المُتفرج لتصبح رؤى تفيض عبقا أحمر/ ورديا/ مغبيا يذكّر ببعض لوحاته الأكثر شاعرية.

ولا يأبى هذا الورديّ "المغبيّ" بأن يتجلى إلاّ مع مشارق شموس مُضاعفة ومتوهّجة تتلهّف للبزوغ في حلتها الذهبية وهي في أوج تلقفها للصدمات الوجودية.

صدمات يسردها الحكواتي الفنان ليس كرثاء، بل كاحتفال بالحياة حتى وإن كانت في بعض نصوصه الشعرية الرقيقة على شفير الإطفاء من هول السنوات وهول الحروب، ومن حدة توهّج الأحلام الشاهقة التي روّضت نفسها بأن تكون أحلاما من النوع الجوهريّ، أي من النوع الذي لا يهمّه التحقّق بقدر ما يعنيه أن يكون المصدر الحيويّ لأي تألق يظهر ويستمرّ في الظهور في مجمل أعماله الفنية رسما وكتابة.

سقوط إلى الأعلى

ننتقي هنا مقتطفا قصيرا من كتابه الأخير يكاد يكون عصارة ما كتبه لناحية الأفكار المطروحة التي تحيل القارئ إلى عدة أفكار وصور أخرى تشتعل، ليس كالنار في الهشيم، ولكن كالأسهم النارية الملوّنة في سماء ليلية كدّرتها بعض الغيوم.

> رسومات تسرد عالما دمشقيا غامرا لا مثيل له، بعيدا عن الهشاشة الفولكلورية التي طغت على الدراما التلفزيونية

يكتب المعرّي ضمن عنوان فرعي "باب توما" هذه الكلمات "سجلوا ذكرياتكم قبل أن تأتي عليها النار/ سجلوا تفاصيل حبكم الأول/ وأسماء الصحاب والخلان والجيران/ سجلوا أماكن اللعب والمشاوير/ والدكاكين التي صرفتم فيها ليرتكم الأولى../ صوّروا وجوه أمهاتكم/ وصوّروا باب الدار وشجرة النارنج في أرضها".

"صوّروا/ وسجّلوا" فعلان لا ينفصلان عند المعرّي. فمعظم ما يكتبه يمتلك خامة بصرية عالية جدا ودعوة للتصوّر. وكل ما رسمه يسرد، يحكي، يكتب، ويتحدّث. إنه ضرب من ضروب التوثيق للمشاعر وللمشاهدات، وتخفيف من وطأة كل شيء وكل أمر على النفس.

في حين بدت رسوماته في مؤلف "كيوفيد الدمشقي" متميّزة برقة الخطوط وعفويتها وتعبيريتها ونقائها وصفاء العيون المرسومة في العديد منها، جاء كتابه الثاني "رؤيا الدمشقي.. قصص الخوف ورسوماته" أشبه بفيلم سينمائي يقبض على اهتمام القارئ/ المُشاهد من الصفحة ما قبل الأولى، أي قبل أن يبدأ النص الكتابيّ ويضع القارئ فورا، كعادة الفنان في مجمل أعماله الفنية المُتميزة بالمُباشرة، ولكن اللاذعة الساخرة حينا، والعميقة الوجدانية تارة أخرى، في جوّ المؤلف: شخص مُعلق في الفضاء، أو السماء أو الغياب، والزمن المفتوح. شخص يحلّق أو يهوي.

وتتالى الصور مع تتالي الكلمات والصفحات. فيحدث السقوط إلى عالم قاتم لونيا، ولكنه لا يخلو من انقشاع منعش تهمس للقارئ/ المُشاهد "ليس كل ما تشاهده، هو حقيقي.. وليس كل ما تراه هو نهائي".

أما هذا "السقوط" فهو مُحيّر. ويحيل القارئ/ المُشاهد إلى ما كتب عنه طويلا المفكر الفرنسي غاستون باشلار حول كون الأجنحة الملتصقة بالكتيفين هي للسقوط. أما تلك الموجودة على حافة القدمين هي للسقوط. ليس السقوط إلى الأسفل ولكن إلى الأعلى، إلى الهوة الناصعة.

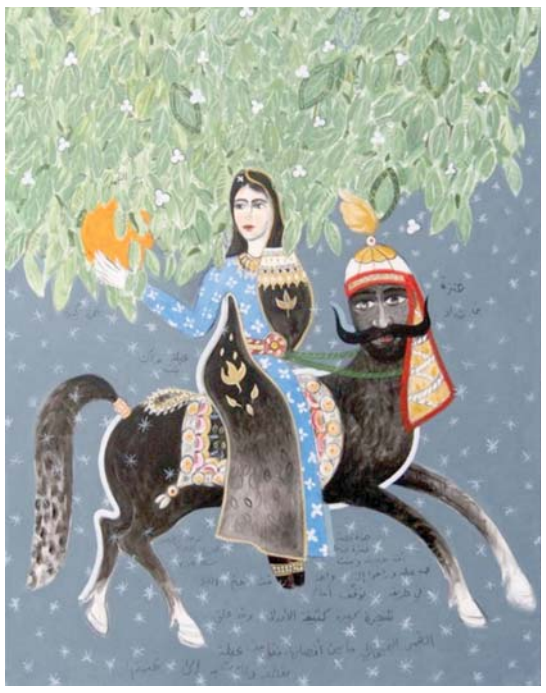

كائنات متوهّجة تتلهّف للبزوغ في حلتها الذهبية

مطر ربيعيّ لا ينذر بمكان حلوله وهطوله

ليس كل ما نشاهده حقيقيا.. وليس كل ما نراه نهائيا

المهم من كل ذلك أن الصور المكتوبة أو الكتابة البصرية في "رؤيا الدمشقي" هي بكلمة واحدة تجسّد الخفقان. قد تكون خفقانا أو خلجات أجنحة تهوي، وقد تكون لما يُحلّق منها. وقد يكون الاثنان في تجاور، كما تتجاور التناقضات في حياتنا اليومية.

وبطرس المعرّي فنان تشكيلي سوري من مواليد مدينة دمشق. وهو مدرّس جامعي، يكتب في الشأن الثقافي وله أعمال كاريكاتيرية لاذعة، كما هو مؤلّف ومصوّر كتب للأطفال صدرت كلها عن دور نشر فرنسية. فالفنان نشر ثمانية كتب عن دار لارماتان، ودار جاسمان بباريس، منها أربع قصص من الأدب الشعبي أعاد صياغتها لتُناسب الأطفال.

وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية من باريس، تناولت ما حصل في سوريا على المستويين الاجتماعي والنفسي. وله العديد من المعارض الفردية والجماعية داخل دمشق وفي العالم.

علي الكفري.. رسام المرأة العربية في جميع تجلياتها التراثية

عمان – يعمل الفنان التشكيلي الفلسطيني علي الكفري منذ احترافه الرسم على استعادة التراث العربي الإسلامي بشكل جديد ومعاصر، في لوحات واقعية تزيينية مطرّزة بالخطوط العربية ومظاهر التراث المختلفة، وهي لوحات يحرص على ألاّ تأخذ صيغة تسجيلية جامدة، أو تهدف إلى التوثيق فقط، بل يقدّمها في شكل لوحات فنية تشكيلية متكاملة المقوّمات، تنتصر لجماليات المكان وخصائصه الحضرية الأصيلة، وتنتمي في الوقت ذاته إلى عصرها.

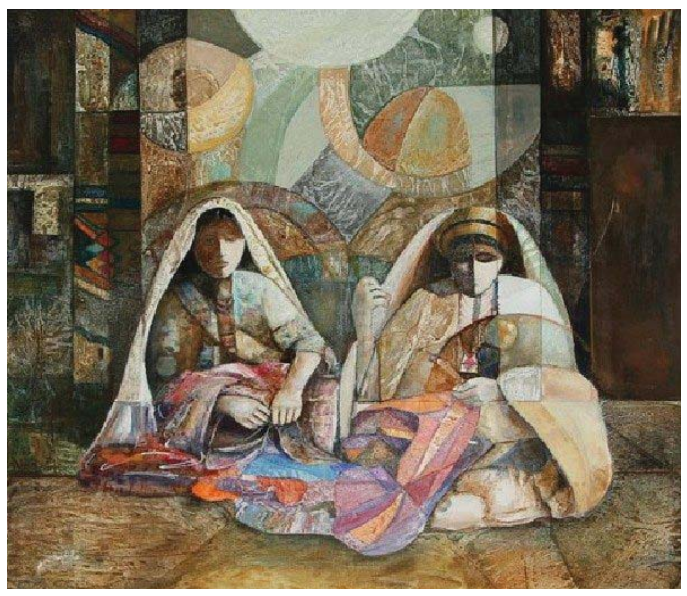

لوحات واقعية تزيينية عابقة بمظاهر تراثية متنوّعة

بدايته الفنية كانت مع الإنسان المناضل الفلسطيني الذي يتبنى قضية أمّة، فكانت لوحاته تجسيدا لمواقف النضال وبعض المجازر الصهيونية في قانا وغزة. لكن الكفري الذي يرى أن الفن لم يخلق لقضية واحدة وشعب واحد، انطلق في رسم المرأة والجمال والحياة بكثافة لونية لا يتقنها أحد سواه.

تأسر لوحات الكفري الناظر منذ أن يراها، فهي تتّسم بطبيعة تراثية خالصة سهلة الاستدلال على الفنان الذي أبدعها خامة وشكلا، وهو في ذلك يقول "لا يمكننا الفصل بين التراث العربي والمرأة، لأنها جزء هام من تاريخ الأمة وحاضرها، البداية كانت مع الأواني الفخارية والتراث الدمشقي العريق من النحاسيات والفضيات بعد أن عشت فترة إحباط قاربت العام، ورغم أن هذا النمط من الفن عاش معي منذ الطفولة عندما كنت أذهب إلى الحقول وأرسم ما أراه على كتبي التي أعتبرها معارض صغيرة، إلاّ أنني حاولت إضافة ما هو جديد لهذا الفن عن طريق البحث المستمر".

ومن هناك أضاف الكفري إلى منجزه الفني الشمع والزيت بعد إسالته بالنار، وكانت اللوحات المخرجة تركيبة جديدة في عالم الألوان لم يستطع أي فنان التوصل إليها، فرسم المرأة بتفاصيلها، وأخذت المرأة الجزائرية حيزا من عالمه لما تتميّز به النساء القرويات الجزائريات من محافظة على التراث الذي بدأ من الأواني الفخارية كما يعرفه المؤرّخون وصولا إلى جسد المرأة.

ويسعى الكفري للاختزال والتبسيط في ما يتعلق بعناصر التراث المختلفة، لاسيما العمارة العربية، مثل اللوحات التي تتناول الجامع الأموي والقدس الشريف؛ وذلك عبر أخذ مقاطع منها وتلخيصها بالاعتماد على مخيلته الخاصة ورؤيته الفنية، فضلا عن معاودة اشتغاله على الخط العربي بصيغة جمالية تعتمد على جعل الحرف عنصرا فنيا إضافيا يزيد من بهاء اللوحة دون أن يكون أساسيا فيها.

ويحافظ الكفري في مجمل لوحاته على أسلوبه الخاص عبر ربط مراحل تجربته الفنية ببعضها البعض دون أن يبتعد عن التراث الذي يعتبره هويته وخطه الفني، فيرسم الأواني الفخارية والنحاسيات الشرقية مرورا بالطبيعة الصامتة والإنسان، وخاصة المرأة العربية، وصولا إلى العمارة والخط العربي. وهو يضع كل هذه المواضيع ضمن دائرة التراث الشرقي والزخرفة العربية أو ما يصطلح على تسميته بالأرابيسك.

علي الكفري

ليس كل ما في التراث قابلا لأن يكون محل لوحات معاصرة

ويلحظ المُشاهد للوحات الفنان الفلسطيني المخضرم المزيد من العناصر التراثية، ولاسيما عناصر العمارة الإسلامية التي يقدّمها برؤية فنية مبسطة ومختزلة مع الاعتماد على ملكاته اللونية التي طالما ميّزته؛ فالكفري يقوم بانتخاب عناصر ومفردات وأشكال معينة من معجمه التراثي، ثم يُعيد ترتيبها وتنظيمها وتصويرها في لوحة معبّرة، مدروسة القطع والتكوين والمضمون والألوان.

وعن تناوله للتراث ووجهة نظره في ذلك وخطورة تناوله بشكل محنّط يقول "تاريخنا وتراثنا زاخران بالكثير من التفاصيل التي يمكن أن تكون موضوعات فنية حديثة، ولكن على المبدع عندما يتوجه إلى التراث أن يكون على درجة كبيرة من الوعي، فليس كل ما في التراث قابلا لأن يكون محل لوحات معاصرة، وهنا يلعب الوعي دورا هاما، فالمطلوب هو انتقاء تفاصيل حيوية تكون فاعلة في طريقة تناول مبتكرة، يقدّم فيها طرحا جديدا لمفهوم قديم، يكون نافعا بوجوده في فترة زمنية متجدّدة".

ويستشهد بقوله "عندما أرسم شيئا تراثيا يكون اهتمامي منصبا على محاولة إسهامي في نقل هذا التفصيل إلى الحياة مرة أخرى عبر ما أقوم به بصراحة ودون الاهتمام برأي الآخرين في ذلك، لكنني أكون حذرا من مطب الوقوع في التكرار، لذلك يجدونني أقدّم تلوينات وإضافات على ما أقوم به بين الفينة والأخرى، وهذا برأيي حاسم وضروري".

وعن تجربته الفنية يقول الفنان السوري أكثم عبدالحميد "ما يميّز الكفري عن غيره من الفنانين العرب قدرته على الاستفادة من العمارة العربية بجميع عناصرها الزخرفية، وهو الذي يُحيط هذه العمارة بمساحات لونية جميلة بالحسّ الطفولي المعروف بصعوبة تبسيطه وإيجازه للوصول إلى لغة بصرية مقنعة".

وعلي الكفري من مواليد فلسطين عام 1947، نزح مع أهله إلى دمشق وتخرّج في معهد إعداد المدرّسين فيها. بدأ مسيرته الفنية عام 1970، وهو عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب والسوريين والتشكيليين الفلسطينيين، وعضو اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين.

له معارض فردية وجماعية في عدد كبير من الدول العربية على غرار العراق والجزائر والسعودية والكويت واليمن والإمارات وسوريا، وله مشاركات أجنبية بألمانيا وإسبانيا والبرتغال وسويسرا وفرنسا وبلغاريا وإيران والاتحاد السوفييتي سابقا.

أعماله مقتناة في كل من المتحف الوطني بدمشق والمتحف الوطني بالرياض، والمتحف الوطني الإيراني والقصر الملكي بالرياض، كما له مقتنيات خاصة في سوريا ولبنان والأردن والكويت والإمارات والمغرب وقطر والجزائر وبلغاريا وألمانيا واليونان وتركيا وهولندا وكندا والأرجنتين والصين.

> لوحات الفنان الفلسطيني تنتصر لجماليات المكان وخصائصه الحضرية الأصيلة، وتنتمي في الوقت ذاته إلى عصرها